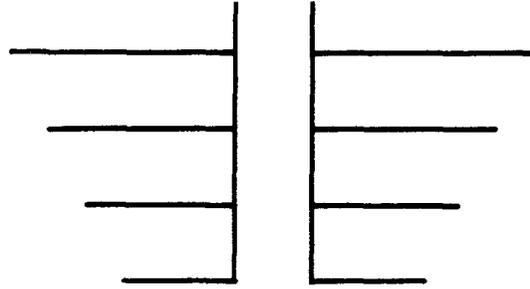


قصة قصيرة

أشجار الجندي



حدثهم يوسف عن الاستفسار والحرب وكتيبته التي
تعسكر في حقول الزيتون، حدثهم عن أنواع الزيتون ذي
الحبوب الكبيرة وعن أشواقه لهم ولمساعدتهم في قطف الزيتون،
حدثهم عن البرد في خيام العساكر، والبرد الذي يقتل حتى
أشجار الزيتون، وعن حراسة الليل والنهار وغارات الطيران
التي أحرقت كثيراً من أشجار الزيتون، فتذكر الأب أيام
الحرب الثانية، وأشجار الزيتون التي رآها في تونس عندما
أخذه مجنّداً في الجيش الفرنسي، ثم تذكرت الأم أحاديث
أبيها الذي حدثها عن جدها الذي ذهب في حرب «السفر
برلك» ولم يعد، وقالت له هذا الجد هو الذي زرع حقل
الزيتون في «جبل الديس»، بعدها شربوا «زوفة» وأكلوا من
الكعك الذي أحضره يوسف من دمشق ومن الحلاوة التي
اشتراها الأب من طرطوس، ثم قالت الأم إنها ستدبح غداً
دجاجة وتطبخ معها البرغل احتفاءً بيوسف. أما الطفلان فقد
ناما بعد أن تعبوا من اللعب والسهرة دون أن ينهراهما أحد هذه
الليلة، وآخر الليل كانت الأسرة قد قررت زرع غرسات
الزيتون في طرف حقل زيتون «جبل الديس».

بعد اسبوع كانت الإجازة قد انتهت، وذهب يوسف دون
أن يعود مرة أخرى، لكن غرسات الزيتون وطفليه ما يزالون
ينمون، وهم الآن كقامة يوسف، يوم زارهم آخر مرة.

١٩٨٢

محمد كامل الخطيب

كانت الشمس عذبة، وكان البرد في أواخره، ففي آذار
يبدأ الربيع ويبدأ غرس أشجار الزيتون، وفي آذار كان دور
يوسف في الإجازة قد حان.

حصل يوسف على إجازة مدتها اسبوع، ومن حقول
الزيتون التي كانت كتيبته يوسف تعسكر فيها أخذ معه ثلاث
غرسات زيتون نوعها غير موجود في قريته. أما من محطة
إنطلاق السيارات في دمشق فقد اشترى يوسف كعكاً وحلوى
لطفليه، وبعض الهدايا والألبسة لزوجته وأمه وأبيه.

طوال الطريق كان يوسف يفكر بعائلته وتناول خدمته
الأحتياطية والمكان المناسب لوضع غرسات الزيتون الجديدة،
وعندما وصل مشارف قريته ورأى حقول الزيتون التي تتسلق
الجبال والتي عاش بين أشجارها أكثر سني عمره، تذكر حقول
الزيتون الممتدة والتي تعسكر بين أشجارها كتيبته وتذكر
كيف كانت النيران تشتعل فيها كلما قصفت الطائرات
معسكرهم، وما هو من انقراض حقل قصف قبل يومين يحضر
ثلاث غرسات بينما أخذ رفيقه محمود خمس غرسات إلى أدلب.

تحس يوسف غرساته الثلاث، فأحس بشعور كالرضى،
وعند المساء كان قد وصل ورأى طفليه وزوجه وأمه وأباه
الذين حكوا له بعد أن تعشوا عن البرد القارس هذا الشتاء
وذكروه بأنه لم يأت وقت قطف الزيتون، وقالوا له أنهم
تذكروه واحتاجوه وقتها، فالأعمال كانت كثيرة ومتعبة، لكن
العمل تم، والزيتون عصر، وما هو الزيت في الحواري، وماذا لو
يأخذ معه إلى المعسكر زجاجة من زيت السنة الجديدة؟ لكن
لماذا يتأخر كل مرة في المحيء؟